

دور الشعر العربي النيجيري في توفير الأمن والأمان في نيجيريا: لمحة من دالية ابن الصباغ الكشناوي في مدح أمير برنومي علي (١٦٨٠م - ١٦٣٩م)

إعداد

د/ عبد العزيز أحمد ماش

قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرادوا، كاتسينا - نيجيريا

مقدمة:

فالأمن والأمان أساس الحياة الإنسانية، وجوهرتها الضرورية، وأعظم أولويات النظم والحضارات البشرية، ولذا تنفق الشعوب الواعية ثروات طائلة من ثمين وغال لتحقيق السلام في ديارها، وتبذل كل الجهد حقنا للدماء والأرواح والأعراض، وحفاظا لحياة أبنائها، وحماية للممتلكات الخاصة والعامة، وتنشأ مختلف القوات الأمنية لحراسة كيانها وضمان سلامة وطنها وأمنها الداخلي والخارجي.

وبناء على ذلك فقد يجدر بكل أمة أن تبحث عن سبل ووسائل تحقيق الأمن والأمان في كل مرحلة من مراحل تطورها ليعم فيها السلام، وتنجوا من العودة إلى الحياة الوحشية القديمة وتتخلى عن العنف والهمجية البربرية.

ونيجيريا اليوم في حاجة ماسة إلى آليات فعالة وتقنيات أمنية دقيقة تعيد بها السلام إلى أهلها وتثبت لسكانها الأمن والأمان. ومن ثم رأى الباحث أن يدرس إحدى قصائد الشيخ محمد بن الصباغ الكشناوي عله يصل إلى إستراتيجية أمنية قيمة تساعد علي تحقيق السلام في هذا الوطن العزيز.

مفهوم الأمن والأمان:

الأمن والأمان مصطلحان مرتبطان بعضهما بعضاً بشكل وثيق، والعلاقة بينهما سببية بنتيجة، فلا يمكن تحقيق الأمان دون الأمن.

يرى اللغويون أن الأمن والأمان مشتقان من جذر واحد وهو "الأمنة"، بمعنى "الاطمئنان والسلام والاستقرار"، وهما ضد الخوف والخطر والفوضى^(١).

والأمن عبارة عن قدرة الدولة في الحفاظ على سلامتها وحماية مكتسباتها الحضارية في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية. أما الأمان فهو الحالة الناتجة عن الأمن وعكسها حالة عدم الاستقرار التي تتراوح بين الاضطراب والفوضى الشاملة^(٢).

فالأمن والأمان يعبران عن هوية الدولة وكفاءتها على تطبيق قوانينها، وبسط نفوذها، وفرض أنظمتها في المجتمع، وهما أولى وأهم مسؤولية النظام بكل مكوناته وكافة أطرافه من السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية والمؤسسات الأمنية والعسكرية، وجميع مؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات السياسية والوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة. وتشارك كافة هذه الأطراف في تحمل هذه المسؤولية الكبرى والتي تنعدم متى عجز أي طرف من أداء مهامه في أكمل الوجود، فيختل الأمن والاستقرار والسلام، وبالتالي يضطرب البلاد وتسود فيه الفوضى، فتصعب فيه الحياة.

نبذة موجزة عن حياة الشاعر

والشاعر هو الشيخ محمد بن الصباغ بن الحاج محمد بن بركة بنت إبراهيم الكشناوي المعروف بـ "طَنَمَرْنَا" (Danmarna)^(٣)، ذكره الإمام السلطان محمد بلو

بن الشيخ عثمان بن فودي في معرض حديثه عن علماء بلاد هوسا قائلا: "منهم (أي علماء بلاد هوسا) الشيخ الأستاذ المكاشف المعروف بابن الصباغ، دهليز العلم، له تأليفات، منها شرحه على قصائد عشرينيات "الفازاوي"^(٤). عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وله قصائد رائعة وضريحه الآن في مدينة كتشينا يزار.

الأمن والأمان في دالية ابن الصباغ الكشناوي:

والأدب العربي مليء بالحديث عن الأمن والأمان والدعوة إلى السلام بين الشعوب منذ عصره الجاهلي، فقد حمل إلينا الرواة أن زهير بن أبي سلمى أنشأ معلقته في مدح هرم بن سنان وحاتر بن عوف للإشادة والتمجيد لمجهودهما نحو السلام، ورفع مستوى الأمن القومي بين عبس وذبيان من طريق حمل الديات التي تبلغ ثلاثة آلاف بعير، في ثلاث سنين^(٥). وقد أثنى النقاد على هذا الشاعر الفاضل لتسجيله هذه القيم الرفيعة والمبادئ النبيلة في جواهر أشعاره. اقرأ هذه الأبيات^(٦):

وقد اختاره ابن الصباغ الكشناوي في داليته، أسلوبا رائعا فصاغها صياغة فنية رائعة، يتحدث عن الحرب في ظاهرها، ويدعو إلى السلام في حقيقتها، ويدعم الأمن والأمان فيها عن طريق غير مباشر. وسنجد فيها يمجّد الحرب سدت عن وقوع الحروب الأهلية المستمرة وطويلة المدى، ويثني على الوقوف بجانب الضعيف ونصرة المظلوم، وقمع الظلم والعدوان، وتأديب الباغي. وكذلك سنجده يثير في نفس الممدوح النخوة الإسلامية، ويخاطب شعوره الديني ليثبّ فيها روح العدالة الاجتماعية التي تعتبر أعظم أساس الأمن والأمان وعمدة السلام الدائم، ويشجعه على التمسك بهذا المبدأ الفاضل.

هذا نص القصيدة^(٧):

- | | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| ١/ علا على الكفار مجتهدا | مجاهد في سبيل الله منفردا |
| ٢/ فاق السلاطين لم تدرك له مثلا | ليث الليوث جريء القلب منذ بدا |
| ٣/ أغائنا غوثة لولاه ما ركدت | قلوبنا فرقا من كافر أبدا |
| ٤/ ضاقت بنا الأرض من خوف بما رحبت | فجاء واستنقذ الأبناء والحفدا |
| ٥/ يأبها الناس قولوا أجمعين معا | جزى الإله عليا خيره نقدا |
| ٦/ أباد جيش جكن من عند آخرهم | وشتت الله شمل الكفر بل رقدا |
| ٧/ سمعت أن أمير المؤمنين على | مشى إلى بلد الكفار مرتصدا |
| ٨/ يا رب انصره وانصر حزبه نصرا | تقرنا وتسهل عيشنا رغدا |
| ٩/ طغى كويفر في السودان مفتخرا | فجال جولة جبار طغى وعدا |
| ١٠/ لو ظن أن له كفؤا يغالبه | في الأرض ما جاوزا بحرا ولا بلدا |
| ١١/ كرورفا بحثوا بالظلف حتفهم | فحان حينهم في كف من سعدا |
| ١٢/ بالحج والزور والتصديق والنسك | فحاز أفضل منهاج هنا رغدا |
| ١٣/ يصوم دهرا ويغزوا ناويا بهما | وجه الإله على الرحمن اعتمادا |
| ١٤/ هذا مديح خديم الشيخ سيد حمد | على علي ملك البحر سد عدا |
| ١٥/ أنا ابن الصباغ لا أخفى على أحد | إلا على جاهل قد لازم الحسدا |
| ١٦/ الحمد لله حمدا واشكرن له | على النجاة من الإجماء من مردا |
| ١٧/ وجددوا الشكر من صنع مي علنا | لقد فدى جملة السودان من لندا |

دراسة تحليلية للقصيدة:

أشاد الأديب بانتصارات الأمير مي علي بن عمر، ومجد مجهوداته الفاضلة في نشر السلام، وأعلن تفوقه على سائر سلاطين إفريقيا الغربية، وشجاعته في محاربة الظلم، وحفظ الأمن والأمان في أرجاء المنطقة.

أثنى الأديب على مبادرة الأمير إلى حماية أمن البلاد وأمان شعوبها بعد أن ملأ الخوف قلوب سكانها، وعبر عن مدى خطورة مساعي الأمير في تأمين الأمة، قائلا:

أغاثنا غوثة لولاه ما ركدت * قلوبنا فرقا من كافر أبدا

ضاقت بنا الأرض من خوف بما رحبت * فجاء واستنقذ الأبناء والحفدا

ذكر الشاعر محاسن الممدوح وأعماله القيمة من تجهيزه للجيش الجرار يجاهد في سبيل الله وتدافع عن حمى المسلمين، وتقوم بقمع فتن الخونة المرتزقة من أعداء الإسلام والسلام، كما تقوم بتأديب الفئة الباغية التي تهدد أمن البلاد وأمان رعاياها. عاد الشاعر من جديد يتحدث عن دور الأمير في الحفاظ على أمن المنطقة وتأمين أرواح أهلها وأعراضهم، ونشر السلام بين المواطنين، معبرا عن ذلك في بيته الأخير:

وجددوا الشكر من صنع مى علنا * لقد فدى جملة السودان من لدا

والمبتادار إلى الأذهان - لأول وهلة - هو أن القصيدة حربية بحتة، لا صلة لها بأمر الأمن والأمان، ولا علاقة لها بموضوع السلام، ولكن يبدو بعد دراسة معانيها الدقيقة أنها تؤيد السلام، وتحمد الأمن والأمان، وكيف لا؟ وصاحبها عالم فقيه تقي متواضع، زاهد عن الدنيا وزخارفها، ولا يطمع كثيرا ولا قليلا في حطامها، ولا يحب من متاعها شيئا، بل همه سلامة البلاد والعباد، واستقرار الأمن والأمان.

وهل مثل ذلك الشيخ يدعم الخصومات والمناوشات، فضلا عن الحروب والمعارك؟، وطبعاً لا، وإنما غايته أن يعم السلام في البلاد، فيأمن الناس في القرى والبادي، فتصبح البلاد مناخاً آمناً مطمئناً مناسباً لعبادة الله جل جلاله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكل ما ورد في هذه القصيدة من الإشادة بالحرب يعتبر جزء من مبدأ الفقهاء "كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

وقد قرض الشاعر قصيدته لا حبا للحروب ولا رغبة في المعارك بل ليمجد انجازات الحرب وما حققته من الأمن والأمان والسلام الدائم.

ومن هذا المنطلق -يرى الباحث- أن القصيدة تخدم الأمن والأمان بدلا من تشجيع الحروب والمعارك، وليس ذلك ببدعة في الأدب العربي، فكثير من الأدباء يقرضون أشعارا بأساليب فلسفية وتصويرات خيالية، يتحدثون فيها عن شيء ويقصدون شيئا آخر، والمتنبى هو خير مثال في هذا الصدد. اقرأ بيتيه التاليين، حيث يتحدث عن الحمى ويخاطب معشوقته الجميلة^(٨).

وزائـررتي كأن بها حياء * فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت في عظامي

ويستفاد من هذه الدالية دروسا أمنية كثيرة، منها:

(١) وقعت تلك المعركة - البرناوية الحكنية - لتضع حدا على طغيان الظلم

وتمنع من اندلاع الحروب الداخلية المستمرة في قلب القارة الإفريقية الغربية. فهي إذن تخدم الأمن والأمان وتحقق السلام.

(٢) إن وجود يد قوية آمنة عادلة بين الشعوب يدعم الأمن والأمان وينشر

السلام، لأنه ينصر الظالم بمنعه عن الظلم، وينصر الضعيف بحمايته عن الظلم، فينتشر بذلك الأمن والأمان ويستقر السلام في البلاد.

(٣) حصانة البلاد وتأمينها أمر ضروري يشترك فيه الجميع، الأدباء بأقلامهم،

والخطباء بلسانهم، والقادة بأسلحتهم، والأغنياء بأموالهم، والفقراء بأبدانهم، وكيف لا؟ والأمن أو الأمان مطلب كل إنسان.

- (٤) لا يتدخل الجيش في إثبات السلام إلا إذا عجزت المفاوضات عن تحقيقه، تفاديا عن الحروب الأهلية المستمرة وخدمة للأمن والأمان.
- (٥) إن تدخل برنو في الحراك الهوساوي -الجنكي- مجهود مشكور، لأنه أعاد إلى البلاد الأمن والأمان، ونشر السلام في كافة المنطقة.
- (٦) أتى ابن الصباغ على المبادرة العسكرية التي تهدف إلى درء الفتن وبسط السلام اعتبارا أنها وسيلة إلى الغاية وهي "الأمن والأمان".
- (٧) استخدم الشاعر أسلوبا فلسفيا في تمجيده الإنجازات العسكرية يقصد بذلك الإشادة بالنتائج التي توصل إليها الحرب وهي إعادة الأمن والأمان والاستقرار في البلاد إذ مثله لا يميل إلى الحروب والمعارك.

الخاتمة

يدور البحث حول القضايا الأمنية ووسائل تأمين البلاد، ونشر السلام بين الشعوب، وقد استطاع الباحث أن يعالج في بحثه النقاط الثلاثة الآتية:

(أ) الإطار التاريخي: قام البحث بدراسة موجزة حول معركة تاريخية بين دولة جكن ودولة برنو، نشبت تلك المعركة نتيجة طموحات دولة جكن في احتلال بلاد هوسا، المجاورة الشقيقة لدولة برنو. لذا تدخلت برنو لإعادة الأمن والأمان ونشر السلام في المنطقة مما أدى بالشيخ محمد بن الصباغ إلى أن ين شيء قصيدة رائعة يمدح بها أمير برنو مي علي عمر لمحافظةه على الأمن والأمان في كافة أرجاء المنطقة.

(ب) الإطار النظري: قام البحث بدراسة موجزة عن مفهوم الأمن والأمان والأسس التي تحقق السلام والاستقرار الداخلي والخارجي للدول والأمصار، كما تأمل البحث الوضع الأمني النيجيري.

(ج) الإطار الأدبي: قام البحث بدراسة موجزة حول دالية ابن الصباغ الكشناوي ومضامينها الأمنية المغطية تحت ألفاظها العسكرية، واستطاع البحث إقناع القراء أن الشاعر يهدف إلى الثناء على مجهود الأمير في تحقيق الأمن والأمان ونشر السلام في الغرب الإفريقي.

وقد توصل البحث إلى نتائج علمية عديدة، منها:

(١) الأمن والأمان أمر ضروري للحياة الإنسانية، يجب أن يشترك الجميع في تحقيقه والحفاظ عليه.

(٢) الأمن والأمان أصلهما من "الأمنة" ومعناها "الاطمئنان والاستقرار والسلام".

(٣) يبنى الأمن والأمان على أسس معينة، وهي -حاليا- غير موجودة في نيجيريا.

(٤) الأمن نوعان الداخلي والخارجي، وقد تبذل الشعوب أموالا كثيرة لتحقيقه والحفاظ عليه. لا يتم الأمن والأمان إلا بالعدل التام من الحكومة ومن أفراد الأمة.

(٥) أنشأ ابن الصباغ دليته ليهنئ بها أمير برنو مي على عمر لانتصاراته في المعركة التي أعادت الأمن والأمان ونشرت السلام في الإفريقية الغربية.

- (٦) والراجح أن دولة جكن لو نجحت في الاستيلاء على بلاد الهوسا لهددت الأمن والأمان، ولأزالت السلام والاستقرار في المنطقة ولكن الله سلم، إنه بعباده رءوف رحيم.
- (٧) حدثت تلك المعركة بعد أن فشلت المفاوضات، لذا تعتبر محاولة تأمين المنطقة وإعادة السلام والاستقرار فيها.

الهوامش:

- (١) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، باب النون، فصل الحمزة، ج ٨، ص: ٢١.
- (٢) آل عمران، الآية: ١٥٤.
- (٣) البقرة، الآية: ٢٨٤، الأعراف، الآية: ٩٩، يوسف، الآية: ١١، قريش، الآية: ٤.
- (٤) النساء، الآية: ٨٣.
- (5) www.alsharq.net.sa/2012/07/05/378616
- (6) [www.un.org/en/peace greens.org.au/policies/human right-democracy/peace-and-security](http://www.un.org/en/peace%20greens.org.au/policies/human%20right-democracy/peace-and-security)
- (7) Islam and the History of Learning in Katsina State, page: 122
- (٨) الإمام السلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص: ٥٢.
- (9) en.wikipedia.org/wiki/jukun-people-(west-Africa)
- (10) en.wikipedia,the preencyclopedia
- (11) H.J Fisher, The Sahara and the Central Sudan in the Cambridge History of Africa fromc 1600 - c 1790, page 179.
- (١٢) مختار الشعر الجاهلي، ج ٢، ص: ٢٣٠.
- (١٣) المرجع السابق، ص: ٢٢٩.
- (١٤) ديوان ابن الصباغ الكشناوى، ص: ٣.
- (١٥) ديوان المتنبي، تحقيق أبي الفضل، ص: ٩٥.
- (16) Face book article, Dr Aliyu Muri: We can't reach 2015 trudging this way.